



# مَوَاهِبُ الرُّوحِ الْقُدُسِ

دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس

د. جورج حبيب بياوي

٢٠٠٨

## مواهب الروح القدس دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس

### هل هناك فرق بين "الروح القدس"، و"روحٌ قدس"؟

أثار هذا السؤال أحد علماء العهد الجديد في مطلع القرن الماضي<sup>(١)</sup> دون أن يعالجه بطريقة واضحة. وكانت حجته أن النص اليوناني للعهد الجديد يستخدم تعبيرين:

- الأول:  $\tau\omicron \pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha \tau\omicron \alpha\gamma\iota\omicron\nu$  أي "الروح القدس".

- الثاني:  $\pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha \alpha\gamma\iota\omicron\nu$  أي "روح قدس" بدون أداة التعريف أل. وبالتالي حينما يرد التعبير الأول "الروح القدس"  $\tau\omicron \pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha \tau\omicron \alpha\gamma\iota\omicron\nu$  يكون المقصود به الأَقْنوم الثالث من الثالوث. أمَّا حينما ورد تعبير "روح قدس"  $\pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha \alpha\gamma\iota\omicron\nu$ ، يكون المقصود به موهبة أو نعمة أو عطية من عطايا الروح القدس، وليس الروح القدس نفسه.

وفي سنة ١٩٦٥ عالج الموضوع بطريقة أكمل العالم المعروف *Turner*<sup>(٢)</sup> وبطريقة شعبية مبسطة العالم *Bullinger*<sup>(٣)</sup>.

وكان من الضروري، وقد طُرِحَ السؤال منذ ١٨٩٨م، أي منذ نشر العالم المعروف *Hort* دراسته عن العهد الجديد أن يتصدى عددٌ لا حصر له من علماء العهد

(١) راجع:

F. A. Hort "The First Epistle of St. Peter" 1898 p 61.

(٢) راجع:

N. Turner "Grammatical Insights into the New Testament," 1965 pp 17 – 22.

(٣) راجع:

E. W. Bullinger "The Giver and his Gifts" 1905. pp 24- 41.

الجديد لمناقشة المشكلة، لاسيما وأن النصوص التي تتحدث عن "روح قدس" بدون أَل التعريف تمس الحياة المسيحية بصورة مباشرة.

ولعل أكثر من عاجل هذه النقطة مؤكداً أن العهد الجديد لا يعرف بالمرة الفرق بين التعبيرين في اليونانية  $\tau\omicron \pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha \tau\omicron \alpha\gamma\iota\omicron\nu$  أي الروح القدس، و  $\pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha \alpha\gamma\iota\omicron\nu$  أي روح قدس، هو العالم *C. F. D. Moule* <sup>(١)</sup> لأن كلا التعبيرين إنما يخص الروح القدس نفسه وليس روحاً قدساً.

وقد بنى العالم *Moule* دراسته على دراسة أخرى أطول وأشمل صدرت في عام ١٩٣٨م للعالم الألماني المعروف *Adler* <sup>(٢)</sup>.

أمّا عندنا في مصر فقد صيغت المشكلة على النحو التالي:

حينما تُذكر عطية أو موهبة من مواهب الروح القدس، فإن العهد الجديد لا يستخدم تعبير "الروح القدس"، بل "روح قدس"، وبالتالي نحن لا نأخذ الروح القدس نفسه، أو أقتوم الروح القدس، بل مواهب الروح فقط.

وكأننا بذلك نعود إلى ذات المشكلة التي طُرِحَت في الغرب في سنة ١٨٩٨م مع تأكيد على أننا لا نأخذ الروح القدس نفسه، بل مواهبه.

ولما لم يكن هذا الموضوع قد عُولج بكفاية عندنا في مصر كان من الضروري أن نطرحه بشكل علمي يأخذ في اعتباره ما يدور الآن في بعض الأوساط الكنسية من جدال حول هذه النقطة بالذات، ولذلك تأتي هذه الدراسة لتساعد على استقرار الرأي، بما يتفق والتسليم الآبائي، مع دراسة خاصة لنصوص العهد الجديد التي يرد فيها كلا التعبيرين، ويمكننا بدايةً أن نوجه نظر القارئ إلى الملاحظات الآتية:

(١) راجع:

C. F. D. Moule "An Idiom Book of the New Testament," 1950 pp 11 ff.

(٢) راجع:

N. Adler "The Christian Gift of Pentecost" 1938.

أ- حيثما ورد في النص العربي تعبير "الروح القدس"، فإن ذلك يعني وجود أداة التعريف أل في الأصل اليوناني.

ب- حيثما ورد في النص العربي تعبير "روح قدس"، فإن ذلك يعني عدم وجود أداة التعريف أل في الأصل اليوناني.

ج- اعتمدنا على الطبعة اليونانية - اللاتينية للعهد الجديد التي نشرها معهد الكتاب المقدس في روما سنة ١٩٦٤ تحت اسم: *NOVUM TESTAMENTUM, Greace et Latine.*

## أولاً

### كيف استخدم العهد الجديد كلا التعبيرين؟

إن أول ما نلاحظه هو أن العهد الجديد يستخدم التعبيرين معاً دون أن يميّز بين "الروح القدس"، و "روح قدس". ولعل هذه الأمثلة هي خير دليل على ما نقول:

#### ١- وعد يسوع لتلاميذه قبل صعوده.

\* ليس بعد هذه الأيام بكثير سوف تتعمدون بروح قدس  
 εὐ πνεύματι ἁγίῳ. (أع ١ : ٥).

\* ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس  
 επελθοντος του αγιου πνευματος (أع ١ : ٨).

\* وامتلاً الجميع من روح قدس πνευματος ἁγίου (أع ٢ : ٤)، بينما في نص النبي يوشع ٢ : ٢٨ يؤكد أنه الروح القدس: "وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَيُّ أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ". فكيف يتحدث الرب عن "روح قدس" في أعمال ١ : ٥، ثم في أعمال ١ : ٨ يكون الحديث عن "الروح القدس"؟ هل كان يتحدث عن شيئين مختلفين؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الروح الواحد هو المقصود.

#### ٢- الروح القدس في يوم الخمسين

\* "وَأَمْتَلَأَ الْجَمِيعَ مِنْ رُوحٍ قُدُسٍ πνευματος ἁγίου" (أع ٢ : ٤)، كذلك في أع ٤ : ٨، ٩ : ١٧، ١٣ : ٩ و ٥٢). هنا في يوم الخمسين امتلاً التلاميذ من روح قدس، مع أنّ الذي جاء هو الروح القدس نفسه.

وماذا نقول عن النصوص الآتية الخاصة بجلول الروح القدس على أهل السامرة

حيث يقول سفر الأعمال بكل وضوح:

\* "حِينَئِذٍ وَضَعَا الْأَيْدِيَّ عَلَيْهِمْ فَاقْبَلُوا رُوحَ قُدُسٍ" (أع ٨ : ١٧).

\* "أَعْطَيْتَنِي أَنَا أَيْضاً هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّىٰ أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ رُوحَ قُدُسٍ" (أع ٨ : ١٩).

وقد نقول إن هذا يتمشى تماماً مع اختبار يوم الخمسين، حلَّ "روح قدس"، وامتلاً الرسل من "روح قدس"، وكذلك أهل السامرة أخذوا مثل الرسل "روح قدس"، لكن علينا أن نلاحظ النصوص الآتية:

\* "لَتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنَّ تَقْتَنِي عَطِيَّةَ ٱللَّهِ بِدَرَاهِمٍ" \* "την δωρεαν του θεου" (أع ٨ : ٢٠)، وإذا رجعنا إلى تعبير عطية الله، نجد أنه تعبير يُراد به الروح القدس.

\* "فَتَقَبَّلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" \* "την δωρεαν του αγιον πνευματο" (أع ٢ : ٣٨).

\* "فَأَنذَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ ..... لِأَنَّ عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَّمِ أَيْضاً" \* "η δωρεα του αγιον πνευματος" (أع ١٠ : ٤٥).

فما أُشير إليه على أنه "روح قدس"، وُصِفَ بعد ذلك بأنه عطية الروح القدس، وإلاَّ يكون أهل السامرة قد أخذوا عطية الروح القدس، بينما أخذ الرسل "روح قدس" فقط!

### ٣- اختبار كرنيليوس

\* "فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ حَلَّ الرُّوحِ الْقُدُسِ  
 τὸ πνεῦμα τὸ ἅγιον عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ" (أع ١٠ :  
 ٤٤).

\* "فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ حَلَّ الرُّوحِ الْقُدُسِ τὸ πνεῦμα τὸ ἁγίου عَلَيْهِمْ  
 كَمَا عَلَيْنَا أَيْضاً فِي الْبَدَاءَةِ" (أع ١١ : ١٥).

والعجيب أن القديس بطرس - وهو يشرح اختبار كرنيليوس - يضيف: "حلَّ  
 الروح القدس عليهم كما حلَّ علينا أيضاً في البدء".

\* سبق لنا أن اقتبسنا نص أعمال ١٠ : ٤٥ وهو خاص بـ "عطية الروح القدس"، وهو  
 نص مرتبط بلا شك بنص أعمال ١٠ : ٤٤.

\* "أَتَرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَعْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا  
 حُنُّ أَيْضاً؟" (أع ١٠ : ٤٧)، وهنا نلفت النظر إلى أن الاختبار هو ذاته  
 τὸ πνεῦμα τὸ ἅγιον.

\* "اللَّهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ  
 τὸ πνεῦμα τὸ ἅγιον كَمَا لَنَا أَيْضاً" (أع ١٥ : ٨).

\* وهناك نص أعمال ١١ : ١٦، ١٧ وهو نص هام يشكّل خلفية اختبار كرنيليوس،  
 حيث يقول القديس بطرس: "فَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ: إِنَّ يُوْحَنَّا عَمَدَ بَمَاءٍ وَأَمَّا  
 أَنْتُمْ فَسَتُعَمِّدُونَ بِرُوحِ قُدُسٍ. فَإِنَّ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ الْعَطِيَّةَ كَمَا لَنَا أَيْضاً بِالسَّوِيَّةِ  
 مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرُ أَنْ أَمْنَعَ اللَّهُ؟".

## ٤ - معمودية المسيح

يقول القديس لوقا في إنجيله عن معمودية المسيح: "وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُّسُ  
 το πνεύμα το αγιον" (لو ٣ : ٢٢)، بينما عندما يتحدث عن نفس  
 الموضوع، أي معمودية المسيح في سفر أعمال الرسل، يقول: "يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ  
 كَيْفَ مَسَّحَهُ اللَّهُ بِرُوحِ قُدْسٍ وَقُوَّةِ  
 πε πνευματι αγιω και δυναμει"، فهل يعقل أن يكون يسوع قد  
 مُسِحَ بالروح القدس في الإنجيل، بينما يمسح بروح قدس في سفر الأعمال؟ أليس الروح  
 القدس هو نفسه الذي يوصف بأنه روحٌ قُدسٌ؟

يستخدم القديس لوقا فعل يقبل λαμβανω خمس مرات، في أربعٍ منها  
 يتحدث عن قبول روح قدس πνεύμα αγιον في أعمال ٨ : ١٥، ١٧، ١٩، ثم  
 في أعمال ١٩ : ٢. ولكنه يستخدم الفعل مرةً واحدةً يتحدث فيها عن قبول الأمم  
 الروح القدس وذلك في أعمال ١٠ : ٤٧.

فهل هناك فرق بين "الروح القدس"، و "روحٌ قدس"؟ بالتأكيد لا.  
 ومن الطريف أن نلاحظ أن المسيح حُيِّلَ به بالروح القدس، ومع ذلك فحسب  
 نص لوقا ١ : ٣٥ "رُوحٌ قُدْسٌ يَحِلُّ عَلَيْكَ"، فهل يحل روحٌ قدسٌ على العذراء، بينما يحل  
 الروح القدس على التلاميذ كما في أعمال ١ : ٨؟

## ٥ - عمل الروح القدس في الأنبياء

نقول في قانون الإيمان: "الروح القدس الناطق في الأنبياء"، ويقول القديس لوقا:  
 "كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُّسُ  
 το πνεύμα το αγιον فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ" (أع ١ : ١٦)، وبالتالي نحن هنا أمام  
 الروح القدس نفسه الذي نطق بفم داود. ولكن القديس لوقا يعود فيقول: "القَائِلُ بِرُوحِ



قُدسٍ  $\delta\iota\alpha$  πνεύματος αγίου بِقَمِ دَاوُدَ" (أع ٤ : ٢٥). فهل تغيّر الروح القدس وهو ينطق بقم داود من الروح القدس إلى روح قدس؟ الجواب هو لا بكل تأكيد. لقد لاحظنا أن الذي حلّ على المسيح في المعمودية حسب لوقا ٣ : ٢٢ هو الروح القدس، ولكن في متى ٣ : ١٦ "وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ πνεύμα θεου نَازِلًا". وفي مرقس ١ : ١٠ "رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انشَقَّتْ وَالرُّوحُ τὸ πνεύμα مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلًا عَلَيْهِ". فما يُسمّى "روح الله" بدون أداة التعريف أُل في متى، هو نفسه الذي يُسمّى "الروح" فقط في مرقس مع استخدام أداة التعريف أُل. لكن كيف نفسّر هذه الظاهرة لاسيما عندما يستخدم نفس الكاتب في نفس الإصحاح تعبير "روح قدس"، ثم يعود بعدها ويستخدم تعبير "الروح القدس"، ألا يؤكد لنا ذلك أن الذين كتبوا لم يعيروا أداة التعريف أُل أي اهتمام؟ ولذلك يمكننا هنا أن نقرر بكل استقامة أن اللاهوت لا يخضع لقواعد الإعراب.

## ثانياً

### ماذا يقول التقليد؟

بالطبع، سبق أن طرِح السؤال عن أداة التعريف آل في زمن القديس أنثاسيوس عندما تطوّر الجدل الأرثوذكسي مع الأريوسية وطال موضوع الروح القدس. فماذا يقول أنثاسيوس عن هذه النقطة بالذات؟

"قولوا لنا إذن، هل توجد فقرة في الكتاب المقدس الإلهي تشير إلى الروح القدس بكلمة "روح" فقط بدون إضافة كلمة أو حرف إليها مثل الله أو الآب أو ياء المتكلم أو المسيح نفسه أو الابن أو مني (أي من الله)، أو أداة التعريف آل، فلا يقال روح، بل "الروح"، أو الاصطلاح الكامل "الروح القدس"، أو "روح الحق"، أي روح الابن الذي يقول: "أنا هو الحق" (يو ١٤ : ٦) ...

وبالإيجاز نقول إنه إن لم تُضَف أداة التعريف آل أو إحدى الإضافات السابقة، فإن الكلمة لا تشير إلى الروح القدس. خذ مثلاً ما كتبه بولس إلى أهل غلاطية "أريد أن أتعلم منكم هذا فقط بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان" (غلا ٣ : ٢). فماذا قبلوا إلاّ الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويولدون ثانيةً بغسل الميلاد الثاني (تيطس ٣ : ٥).

وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي "لا تطفئوا الروح" كان يتحدث إلى الذين يعرفون من هو الذي قبلوه لئلا بسبب الإهمال يطفئوا نعمة الروح الذي كان قد اشتعل في داخلهم. وعندما استخدم الإنجيليون في الأناجيل اصطلاحات بشرية عن المخلص من أجل الجسد الذي اتخذه، قالوا: "أمّا يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً بالروح" (لو ٤ : ١)، "ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح" (مت ٤ : ١)، فإنها هي نفس الكلمة، وذات المعنى

الذي سبق لوقا وذكره "ولما اعتمد الشعب اعتمد يسوع أيضاً وكان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة" (لو ٣: ٢١ - ٢٢). هذه توضح جلياً أن الروح القدس هو المقصود بكلمة "الروح"، وهكذا أيضاً حينما اقترن اسم الروح القدس بالبشر - حتى وإن دُكرَ بدون أية إضافة لأسمه - فلا شك في أن الروح القدس هو المقصود بالذات لاسيما عندما تضاف إليه أداة التعريف" (١).

وهكذا يتضح لنا أن القديس أثناسيوس وهو يشعر بأهمية ما سيقال عن أداة التعريف ألا يقول حينما دُكرَ الروح بأداة التعريف، فإن الروح القدس هو المقصود به، ولكن "حينما اقترن اسم الروح القدس بالبشر - حتى وإن دُكرَ بدون أية إضافة لأسمه - فلا شك في أن الروح القدس هو المقصود بالذات لاسيما عندما تضاف إليه أداة التعريف".

فمن المؤكد أن هذا الرجل الذي حصر عدد المرات التي ورد فيها ذكر الروح القدس في العهدين قبل أن يكتب رسائله، كان قد شعر بالمشكلة، ولكنها لم تزعه بالمرة؛ لأن المعنى واضح ومعروف أنه لا يوجد روح قدس مختلف أو غريب عن الروح القدس، وأن أداة التعريف ألا لا تغيّر المعنى بالمرة.

## هل هناك فرق بين المواهب والأقنوم؟

في الحقيقة لم يُطرح هذا السؤال بالمرة في التاريخ الكنسي، ولا تعرف كتب الآباء بأسرها نصاً واحداً يقول إننا لا نشترك في الروح القدس نفسه، بل نشترك في مواهبه فقط. وإذا كنا قد أثبتنا من العهد الجديد أن الذي نأخذه هو الروح القدس نفسه، فهل

(١) راجع رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس - ترجمة القمص مرقس داود ص ١١ - ١٣ مع تعديل طفيف في النص العربي بعد مراجعته على الأصل اليوناني. ويمكن مراجعة ذات النص في سلسلة نصوص آباءية رقم ٩٥ التي يصدرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة - طبعة ثانية، ٢٠٠٥، ص ٣٣ - ٣٤.

هناك فرصة لأن يطرح العهد الجديد بشكل أو آخر أننا نأخذ مواهب الروح فقط دون الروح نفسه؟

سوف نرى الإجابة على هذا السؤال بكل وضوح.

أولاً: حيثما ذكرت مواهب الروح القدس فإنها لا تذكر إلا كنتيجة لحلول الروح

القدس:

\* "وَأَمْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا" (أع ٢ : ٤).

\* "فَأَنذَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ لِأَنَّ عَطِيَّةَ (مَوْهَبَةَ) الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدْ انْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَّمِ أَيْضًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ وَيُعَظِّمُونَ اللَّهَ" (أع ١٠ : ٤٥ - ٤٦).

\* "وَأَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَيْهِمْ فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ" (أع ١٩ : ٦).

فليس هناك حالة واحدة في سفر الأعمال نال فيها إنسان واحد موهبة قبل أن

يجل عليه الروح القدس، أو قبل أن يمتلأ من الروح القدس.

ثانياً: فإذا اتجهنا إلى أطول نص عن المواهب الروحية في كورنثوس الأولى ١٢ -

١٤، فإننا لا نجد إشارة واحدة إلى موهبة تُعطى بدون الروح القدس نفسه، ولكننا سوف

نكتفي بدراسة كورنثوس الأولى ١٢ : ٣ - ١٣.

\* ٣ - "لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللَّهِ يَقُولُ: «يَسُوعُ أَنَاثِيمَا». وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ

يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ". هل توجد هنا إشارة للمواهب أم للروح القدس

نفسه؟

\* ٤ - "فَأَنْوَأُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةً وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ". فالمواهب متعددة، ولكن الروح الذي يعطيها واحد، وبذلك لا تتعدد سكنى الروح، بل هو روح واحد يسكن في الكل، ولكن يعطي مع سكناه مواهب مختلفة. دقق في القراءة.

\* ٥ - ٦ "وَأَنْوَأُ حِدَمِ مَوْجُودَةً وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَأُ أَعْمَالِ مَوْجُودَةً وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ".

\* ٧ - "وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ". وهنا نلاحظ أن الذي يظهر ليس الموهبة، وإنما الروح، وهذا هو ما يؤكد الرسول بعد ذلك مباشرة.

\* ٨ - ٩ "فَإِنَّهُ لَوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلَامٌ حَكْمَةٍ. وَلَاخَرَ كَلَامٌ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلَاخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلَاخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ". والتشديد هنا على كلمة الروح الواحد تأكيداً على وحدانية الذي يعمل كل هذه العطايا المختلفة والمتنوعة.

\* ١٠ - "وَلَاخَرَ عَمَلُ قُوَاتٍ وَلَاخَرَ نُبُوَّةٍ وَلَاخَرَ تَمْيِيزُ الْأَرْوَاحِ وَلَاخَرَ أَنْوَأُ أَلْسِنَةٍ وَلَاخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ". كل هذه المواهب المختلفة،

\* ١١ - "وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُقَرَّرِهِ كَمَا يَشَاءُ".

لماذا يشدد الرسول على سُكْنَى وقبول الروح الواحد؟

كما هو واضح من سياق الكلام لاسيما في العدد ١٢ من تشبيه وحدة المؤمنين بوحدة الجسد. فالمسيح مثل الجسد، ولكن رغم تعدد الأعضاء، كل عضو هو جزء من الجسد الواحد لا تختلف طبيعة أي عضو عن العضو الآخر. الاختلاف هو في الوظيفة فقط، وذلك كالآتي:

\* ١٢ - ١٣ "لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةٌ هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لِأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً

اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً  
وَاحِداً".

فهل ميّز الرسول بين المواهب والأقنوم؟

ألا يسكن أقنوم الروح القدس في الكل؟ هذه هي سُكنى الروح الواحد، وإن

كانت المواهب متعددة.

## ثالثاً

## ماذا كان وعد المسيح لنا؟

\* "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًّا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ. رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَا كَثُرَ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ" (يو ١٤ : ١٦ - ١٧). لم يكن وعد المسيح لنا بالمواهب، وإنما بذات الروح القدس.

\* "وَأَمَّا الْمُعَزِّيُّ الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو ١٤ : ٢٦). لقد جاء الروح القدس نفسه ليسكن فينا، ولما سكن فينا أصبح الروح الساكن فينا يعلمنا داخلياً ويذكّرنا داخلياً.

\* "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّيُّ الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَشِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (يو ١٥ : ٢٦). الروح القدس الذي ينبثق من عند الآب هو أقتنوم الروح القدس. فهل حلّ أقتنوم الروح القدس، أم غيره هو الذي حلّ؟

\* "وَمَتَى جَاءَ ذَلِكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْتُونَةٍ... وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ" (يو ١٦ : ٨، ١٣). فنحن لا نعرف الحق، ولا نستطيع أن نعرفه إلا من روح الحق هو نفسه، أي أقتنومه هو، أي شخصه الذي يرشد إلى جميع الحق، ذلك أن قيادة النفوس لا تتم عن طريق المواهب، بل عن طريق شخص الروح القدس نفسه. ومع أن كلمات الرب واضحة، وهي تشهد عن حلول الروح القدس نفسه كأقتنوم فينا، إلا أنه يلزمنا أن نسأل سؤالاً أساسياً: هل كان مجيء الروح القدس وسكناه فينا مؤقتاً؟ الرب يسوع يقول: "بِمَكُثِ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ"، فهو معنا حتى بعد الخروج من الجسد، بل ومعنا في ملكوت السماوات.

فإذا كان الرسول بولس يقول إن: النبوات ستبطل والألسنة فستنتهي والعلم فسيبطل، وإذا كانت النبوة وهي أعظم عطايا ومواهب الروح القدس - "لأنَّ مَنْ يَتَنَبَّأُ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِاللِّسَانِ" (١ كور ١٤ : ٥) - ستزول، وإذا كانت المواهب كلها إلى زوال ولا قيمة لها بالمرّة في الملكوت، وإذا كنا قد أخذنا المواهب فقط، أفلا يصبح المسيح كاذباً إذ قال إنه "يَمَكُثُ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ"؟

إذا كنا قد أخذنا المواهب فقط دون الروح القدس نفسه، فقد خسرنا كل شيء، وهذا هو ما يؤكده الرب يسوع نفسه في حديثه عن الهالكين الذين تمتعوا بمواهب الروح القدس فقط "كثيرون سيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟. فَحِينئِذٍ أَصْرَحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ!" (مت ٧ : ٢٢ - ٢٣). فهل نطلب المواهب فقط، أم قيادة وسكنى الروح القدس نفسه؟

## شهادة التقليد

سنكتفي فقط بشهادة كل من القديس أثناسيوس الرسولي، والقديس كيرلس الكبير نظراً لضيق المجال.  
يقول القديس أثناسيوس:

"وعندما أعطاه للتلاميذ، قال لهم: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠ : ٢٢)، كذلك علّمهم قائلاً: "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء" (يو ١٤ : ٢٦)، وبعد قليل، قال عن نفس الموضوع: "ومتى جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يو ١٥ : ٢٦)، وقال أيضاً: "لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠ : ٢٢)، وبعد قليل قال: "ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل



عليكم ملكوت الله" (لو ١١ : ٢٠). ولكي يكمل فيه كل معرفتنا عن الله (أي كل التعليم عن الله) ويضع طقس الانضمام إلى الكنيسة الذي به أتحدنا بشخصه، وبالآب، أوصى تلاميذه قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩)<sup>(١)</sup>.

ماذا عن تعبير "الذي به أتحدنا بشخصه"؟ هل شخص الروح القدس غير أقنوم الروح القدس؟ لا بكل تأكيد. وحتى لا يظن أحد أننا نصطاد كلمةً شاردةً في كتابات القديس أنثاسيوس عن الروح القدس يلزمنا أن ندعم المعنى الذي ذكره أنثاسيوس. يقول القديس أنثاسيوس:

"والروح يدعى مسحة، وهو الختم؛ لأن يوحنا يكتب: "أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها (روحه القدس) عن كل شيء" (١ يو ٢ : ٢٧)..... ويقول بولس: "الذي فيه أيضاً أنتم إذ أنتم ختمتم ليوم الفداء" (أف ١ : ١٣). والمخلوقات ختمت به ومسحت به وتعلمت منه كل شيء. وإذا كان الروح هو المسحة والختم الذي به يمسح الكلمة كل الأشياء ويختمها، فأى شبه أو علاقة يمكن أن تكون بين المسحة والختم وبين المخلوقات التي تُمسح وتُختم؟..... فالختم لا يمكن أن يكون ضمن المخلوقات التي تُختم، والمسحة لا يمكن أن تكون ضمن المخلوقات التي تُمسح، ولكنه (الختم والمسحة) ينتمي إلى الكلمة الذي يمسح ويختم،.... وهكذا إذ تُختم نصير بحق - كما يقول بطرس - "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١ : ٤)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يدافع أنثاسيوس عن إلهية الروح القدس باتخاذ عمله فينا في المسحة والختم دليلاً على الإلهية؛ لأن الذي يعمل فينا هو الروح القدس نفسه الذي بسبب

(١) المرجع السابق ص ١٧ في ترجمة القمص مرقس داود، وص ٣٦ - ٣٧ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

(٢) المرجع السابق ص ٦١ - ٦٢ في ترجمة القمص مرقس داود، وص ٧٢ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

عمله فينا نصبح شركاء الطبيعة الإلهية، وهي شركة مستحيلة إلا إذا كان الروح القدس هو من ذات جوهر الآب، وهو البرهان الذي يكمل به أثناسيوس شرحه.

"وهكذا فكل الخليقة تشترك في الكلمة بالروح القدس. وفضلاً عن هذا، فإننا بالروح القدس نشترك كلنا في الله؛ لأنه يقول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟" (١ كو ٣: ١٦، ١٧).

فلو كان الروح القدس مخلوقاً، لما كانت لنا شركة مع الله فيه. ولو كنا حقاً قد اتحدنا بمخلوق لأصبحنا غرباء عن الطبيعة الإلهية لأننا لم نشترك فيها. أمّا الآن فلكوننا ندعى شركاء المسيح وشركاء الله، فهذا لأن المسحة والختم الذي فينا، ليس من طبيعة الأشياء المخلوقة، بل من طبيعة الابن، الذي يتحدنا بالآب بواسطة الروح الذي فيه. هذا ما علمنا إياه يوحنا - كما قيل سابقاً - عندما كتب قائلاً: "بهذا نعرف أننا نثبت في الله وهو فينا انه قد أعطانا من روحه" (١ يو ٤: ١٣). ولكن إن كنا بالاشتراك في الروح نصبح "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٤)، فإنه يكون من الجنون أن نقول إن الروح القدس له طبيعة مخلوقة لا طبيعة الله. لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس. وإن كان الروح القدس يجعل البشر شركاء الطبيعة الإلهية، فلا شك في أن طبيعته هي طبيعة إلهية<sup>(١)</sup>.

هكذا يبرهن أثناسيوس على إلهية الروح القدس من واقع النعمة التي منحت لنا، وهي شركة الطبيعة الإلهية. ولما كانت هذه الشركة قائمة على حلول الروح القدس نفسه، والتي بها نصل إلى الابن والآب، فمن المؤكد أن الروح القدس هو الله، وهذا ما يعود ويؤكد عليه مرةً ثانيةً، فيقول:

(١) المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٣ في ترجمة القمص مرقس داود، وص ٧٣ - ٧٤.

"كما يقول الكتاب إن الذين استُنبِروا مرةً وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة (عب ٦: ٤ - ٥)، فالملائكة وسائر الخليقة تشارك في الروح القدس نفسه"<sup>(١)</sup>.

فإذا قال أثناسيوس "الروح القدس نفسه، أي هو ذاته"، فهل يمكن أن يكون لكلمة ذاته أو نفسه أي معنى آخر غير أقنوم الروح القدس؟ وكيف نُوصف بأننا شركاء الروح القدس دون أن نحصل على الروح القدس نفسه؟ كيف ننال مواهب الروح فقط، ثم نُوصف بأننا شركاء الروح، وهو تعبير على الرغم من ندرته في العهد الجديد، إلا أنه لا يوجد تعبير آخر يقول إننا شركاء مواهب الروح القدس. وعن هذه الشركة يقول أثناسيوس مرةً أخرى:

"فالمواهب التي يقسمها الروح لكل واحد تُمنح من الآب بالكلمة. لأن كل ما هو للآب هو للابن أيضاً. إذن فتلك الأشياء التي تُمنح من الابن في الروح هي مواهب الآب. وعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة. وهذا يتفق مع ما قيل: "إليه نأتي أنا والآب وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣). لأنه حيث يكون النور فهناك الشعاع أيضاً، وحيث يكون الشعاع فهناك أيضاً فاعليته ونعمته الخالقة"<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو ما علم به الرسول أيضاً حينما كتب إلى الكورنثيين في الرسالة الثانية قائلاً: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كو ١٣: ١٣). لأن هذه النعمة والموهبة التي تُمنح، إنما تُمنح في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا لا يمكننا أن نشترك في

(١) المرجع السابق ص ٦٩ في ترجمة القمص مرقس داود، وص ٧٩ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

(٢) النعمة الخالقة تعبير هام جداً، يؤكد أن النعمة من الله.

العطية إلا في الروح القدس. لأننا عندما نشترك فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه"<sup>(١)</sup>.

هل هناك أوضح من هذا الكلام؟ النعمة والموهبة هي شركتنا نحن في الروح القدس نفسه.

## عمل أقنوم الروح القدس في الرسالة إلى سراييون

### أولاً: وحدة جوهر وحياة الثالوث لا تقبل الانقسام

"أمّا ... الذين لهم نفس فكر أريوس، لا يستطيعون أن يدركوا، ولا أن يؤمنوا أن الثالوث القدوس غير قابل للتقسيم؛ لأن الحكمة لا تدخل عقولهم غير المستنيرة"<sup>(٢)</sup>.

هذه الوحدة، يؤكد المعلم الكنسي العظيم أنها:

"تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها وإيمانها الذي هو من البداية، والذي أعطاه الرب وركز به الرسل وحفظه الآباء، وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة، ومن يستقط منه، لن يكون مسيحياً، ولا ينبغي أن يُدعى مسيحياً فيما بعد.

إذن، يوجد ثالوث قدوس وكامل (في جوهره)، نعترف بلاهوته في الآب والابن والروح القدس، وليس فيه شيء غريب، أو يمتزج به من الخارج، ولا يتكون من خالق ومخلوق، ولكن (الثالوث) يبني الكل ويخلق الكل، وهو مساوٍ وغير منقسم حسب الطبيعة وعمله واحد. فالآب بالكلمة في الروح القدس يعمل كل الأشياء، وهكذا (أي بهذا الإيمان) نحفظ نحن وحدة الثالوث القدوس كاملة"<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٧٦ - ٧٧ في ترجمة القمص مرقس داود، وص ٨٦ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

(٢) القديس أنثاسيوس الرسولي، الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سراييون، الطبعة الثانية، سلسلة نصوص آباءية رقم ٩٥، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية: الرسالة ١: ١٧، ص ٥٩. مع ملاحظة أن النص الأساسي هو النص اليوناني لمجموعة الآباء اليونانيين مع التدقيق في ترجمة C.R.B.Shapland طبعة ١٩٥١، وهي الطبعة التي استعان بها أستاذنا الدكتور موريس تاوضروس، والدكتور نصحي عبد الشهيد في ترجمة هذه الرسائل.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٠ - ٨١.

فما هو السبب في هذا الإصرار؟

والجواب سبق أن قيل قبل ذلك في الفقرة ١٤ من الرسالة الأولى، مؤكداً أن

الإيمان الرسولي هو:

"الثالوث القدوس المبارك غير منقسم، وهو واحد في ذاته *One in*

*Himself*"<sup>(١)</sup>.

وعندما نحفظ نحن البشر وحدة الثالوث، فإن السبب الواضح والحقيقي هو:

"عندما نذكر الآب، فالكلمة مُتَضَمَّن، والروح أيضاً؛ لأنه في الابن. وعندما

نذكر الابن، فإننا نذكر الآب؛ لأن الآب في الابن، ولا يصبح الروح بذلك خارج

الكلمة"<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني حسب الممارسة الكنسية:

"لأن النعمة التي من الآب هي واحدة، وهي تتم بالابن في الروح القدس؛ لأن

الألوهة واحدة، وإلهٌ واحدٌ هو الذي "على الكل وبالكل وفي الكل" (أف ٤: ٦)"<sup>(٣)</sup>.

ويعود القديس أنثاسيوس إلى نفس التعليم الرسولي في الفقرة ٣٠ عندما يشرح

البركة الرسولية التي تقال في القداسات، وفي الصلوات الأرثوذكسية، وهي: "نعمة ربنا

يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كور ١٣: ١٣). وهنا

يقول:

"هذه النعمة والهبة تعطى في الثالوث

من الآب

بالابن

في الروح القدس،

(١) المرجع السابق، الرسالة ١: ١٤، ص ٥٣. وراجع الترجمة الإنجليزية ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق ١: ١٤، ص ٥٣.

(٣) المرجع السابق ١: ١٤، ص ٥٤.

وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن،  
هكذا، فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلا بالروح القدس؛ لأننا حينما نشترك  
فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح القدس نفسه" <sup>(١)</sup>.  
هذا يجعلنا نقف بذات صلابة القديس أثناسيوس الذي رفض تقسيم الثالوث،  
وهو التقسيم الوافد من الوثنية، والذي جعلته الأريوسية تعليماً خاصاً بها. وهنا نقول  
لكل الذين يقسمون الثالوث إلى عدلٍ، ورحمةٍ - إلى إلهٍ غاضبٍ، وابنٍ مغضوبٍ عليه،  
أنهم عادوا إلى الوثنية تحت ستار عقيدة الكفارة والفداء. وأما الذين أخذوا بمرطقة  
"أنوميوس" التي تفصل بين الجوهر والأقنوم والقوة الفاعلة *energy* فيقول لهم معلمنا  
العظيم أثناسيوس:

"فعل (عمل) الثالوث واحد،

فالرسول لا يقصد أن ما يُعطى، يُعطى من كل (أقنوم) على حدة (كأن الأقانيم  
متنوعة ومجزأة)،

ولكن، ما يُعطى، إنما هو يُعطى في الثالوث، والكل من الله الواحد" <sup>(٢)</sup>.  
ويأتي تحذير القديس أثناسيوس بأن تقسيم الثالوث في عقول الهرطقة يفصلهم  
عن الحياة الإلهية <sup>(٣)</sup>.

وعندما يشرح البركة الرسولية في الرسالة الثالثة، يقول:

"عندما نشترك في الروح، تكون لنا نعمة الكلمة،

وفي الكلمة تكون لنا محبة الآب،

وكما أن نعمة الثالوث واحدة، كذلك فالثالوث غير منقسم" <sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق ١: ٣٠، ص ٨٦.

(٢) المرجع السابق ١: ٣١، ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) المرجع السابق ١: ٣٣، ص ٩٢.

(٤) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦.

وعلينا أن نلاحظ عبارة القديس أنثاسيوس عن الإيمان بالثالوث:  
 "هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة؛ لأن الرب أسسها وأصلها في الثالوث" (١).

### ثانياً: بشاراة الملاك لوالدة الإله

وهنا نترك الشرح للقديس أنثاسيوس:

"حينما أرسل الملاك جبرائيل ليعلن حلول الكلمة عليها قال: "الروح القدس يجلب عليك" (لو ١: ٣٥)، عالماً أن الروح كان في الكلمة، وأضاف (الملاك) مباشرةً "وقوة العلي تظلللك" (لو ١: ٣٥)؛ لأن المسيح هو "قوة الله وحكمة الله" (١ كور ١: ١٤).  
 وماذا يعني هذا؟

"وإذا كان الروح في الكلمة، فمن الواضح أيضاً أن الروح كان في الله أيضاً بالكلمة" (٢).

وكأن القديس أنثاسيوس كان يرى بروح النبوة المهجوم على الروح القدس بواسطة بعض الإكليروس، فكتب يقول:

"وبالمثل، عندما يصير الروح فينا،

عندئذٍ يأتي الابن والآب ويصنعون منزلاً فينا؛

لأن الثالوث غير منقسم؛ لأن ألوهته واحدة،

ويوجد إله واحد "على الكل وبالكل وفي الكل" (أف ٤: ٦) (٣).

### ثالثاً: سر المعمودية

يؤكد القديس أنثاسيوس الإلهوة الواحدة للثالوث؛ لأن هذا هو أساس انضمام

المسيحي إلى الكنيسة جسده المسيح:

(١) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦.

"ألوهة واحدة في الثالوث (أي) في الآب، وفي الابن، وفي الروح القدس نفسه، وفي الثالوث نفسه معمودية واحدة وإيمان واحد" <sup>(١)</sup>.

هذا الإيمان بالثالوث الواحد هو رجاء كل من ينال سر المعمودية. ولذلك يسأل أثناسيوس السؤال الذي لا بُد أن يسمعه ذلك الجيل الذي رأى وسمع الحرب على الروح القدس:

" أيُّ روحٍ آخر أخذه هؤلاء غير الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويُولدون ثانيةً بغسل الميلاد الثاني؟" <sup>(٢)</sup>.  
لأننا "تجدد بروح الله" <sup>(٣)</sup>.

لأن الروح القدس "هو الذي فيه بواسطة الكلمة يكمل الآب كل الأشياء ويجدها" <sup>(٤)</sup>.

ويجب أن نضيف هنا القاعدة الإيمانية الخاصة بعمل الثالوث في التقديس؛ لأنها تمس قدس أقداس الحياة الكنسية، وهي الأسرار لا سيما الإفخارستيا، إذ يقول معلمنا الكبير إن التعليم - بدون الوقوع في خطر الابتعاد عن الأرثوذكسية، وإن التفكير السليم القانوني الخاص بالإيمان هو:

"نؤمن بقداسة واحدة نابعة من الآب بالابن في الروح القدس" <sup>(٥)</sup>.

هذه القداسة تصل إلينا من مصدر واحد هو الثالوث، وهي آتية ومُعلنَة في الابن، وتُعطى بالروح القدس، ولذلك يؤكد القديس أثناسيوس بعد ذلك مباشرةً:  
"لأنه كما أن الابن هو الابن الوحيد، هكذا أيضاً الروح الذي يُعطى ويُرسَل بالابن" <sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق ٤: ٣ ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) المرجع السابق ١: ٤ ص ٣٣.

(٣) المرجع السابق ١: ٩ ص ٤٤.

(٤) المرجع السابق ١: ٩ ص ٤٤.

(٥) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٦.



ووحدة جوهر الثالوث *ousia* هي مصدر القوة الفاعلة *dynamis* أو القدرة الفاعلة *energia* لأن عدم انقسام جوهر الثالوث، ووحدة عمل الثالوث الواحد هو الذي يجعل القوة الفاعلة أو القدرة الفاعلة هي عملٌ واحد التي تحيي الكل وتقدس الكل، ولذلك يؤكد نفس التعليم الرسولي في الفقرة ٣١ كالتالي:

"فعل الثالوث هو واحد ... لأنه لا يوجد شيء لم يُخلق ويُعطى القدرة على البقاء بالقدرة الفاعلة إلاً بالكلمة وفي الروح، وهكذا يرتل في المزامير: "بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فيه كل جنودها" (مز ٣٢: ٦)"<sup>(٢)</sup>.

وسوف يدرك القارئ أن الابن الوحيد لم يرسل مواهب لكي يشتت وحدة الكنيسة، بل أرسل الروح القدس. وكلمات القديس أثناسيوس قاطعة مثل سيف التعليم الرسولي:

"الابن يرسل الروح، فهو يقول: "إن ذهبت أرسل المعزّي" (يو ١٦: ٧). والابن يمجّد الآب قائلاً: "أيها الآب أنا مجّدتك" (يو ١٧: ٤)، بينما الروح يمجّد الابن؛ لأنه يقول: "ذلك يمجّدني" (يو ١٦: ١٤)"<sup>(٣)</sup>.

وحتماً إن كان الروح القدس يمجّد الابن، فهذا ليس مجدداً بشرياً - حسب ادعاء الأنا شنودة الثالث<sup>(٤)</sup> - بل هو مجد الثالوث الواحد غير المنقسم.

ومن ثمَّ يجتم القديس أثناسيوس هذه الفقرة بقوله:

"فإن الروح يأخذ من الابن لأنه يقول: "لأنه يأخذ مما لي ويعطيكم" (يو ١٦:

١٤ حسب الأصل اليوناني)"<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) المرجع السابق ١: ٣١ ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٧.

(٤) راجع قداسة البابا شنودة الثالث: تأليه الإنسان، الكتاب الأول.

(٥) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٧.

### رابعاً: المعمودية الرب يسوع في نهر الأردن<sup>(١)</sup>

لم يأخذ الرب يسوع موهبة أو مواهب الروح القدس؛ لأن التعليم الرسولي واضح، فقد "مُسِّحَ" يسوع، وصار بالمسحة "المسيح"، مسح الروح القدس، وكُنَّا نحن - كما يقول القديس أناسيوس - الذين اغتسلنا فيه ومُسِّحنا فيه، بل كُنَّا نحن الذين في المسيح تقدَّسنا فيه:

"لأنه كإنسانٍ يقال عنه إنه يُمسح بالروح القدس حتى يبنِي أو "يؤسِّس" فينا نحن البشر سُكنى الروح، ويجعل هذه السُكنى كعلاقة مألوفة"<sup>(٢)</sup>.

وبكلمات قاطعة يقول أناسيوس عن الرب نفسه:

"أنا نفسي أُعطي ذاتي الروح، أنا الذي صرْتُ إنساناً أتقدَّس فيه لكي يتقدَّس الجميع فيَّ"<sup>(٣)</sup>.

ثم

"إن نزول الروح عليه في الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن بسبب اتخاذه (لبسه) جسداً ... من أجل تقديسنا من جديد"<sup>(٤)</sup>.

ثم

"لكي نشترك في مسحته، ولكي يقال عنَّا: "ألستم تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم (١ كور ٣: ١٦). فحينما اغتسل الرب في الأردن كإنسان، كُنَّا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته"<sup>(٥)</sup>.

ثم

(١) راجع دراستنا: لماذا اعتمد يسوع؟ منشورة على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية.

(٢) ضد الأريوسيين ١: ٤٦ - سلسلة نصوص آباءية رقم ٦٤ - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية - الطبعة الثالثة ص ١١٥.

(٣) المرجع السابق ١: ٤٦ ص ١١٥.

(٤) المرجع السابق ١: ٤٧ ص ١١٥.

(٥) المرجع السابق ١: ٤٧ ص ١١٥ - ١١٦.

"وحيثما اقتبل الروح، كنّا نحن الذين صرنا مقبليين للروح بواسطته ... إذن فمن ذلك (أي بمعمودية الرب ومسحته) بدأنا نحن ننال المسحة والختم، كما يقول يوحنا: "أنتم لكم مسحة من القدوس" (١ يو ٢ : ٢٠)، والرسول يقول: "أنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١ : ١٣)"<sup>(١)</sup>.

وهنا نشير إلى أن المسحة، وبشكل خاص، الختم، هو الاسم الطقسي القديم جداً لمسحة الميرون، وذلك كما شرحنا في دراستنا عن المعمودية في القرون الخمسة الأولى<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ١ : ٤٧ ص ١١٦ .

(٢) يمكن مراجعة هذه الدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية: [coptology.com](http://coptology.com).

## رابعاً

### الرب يسوع المسيح قَبْلَ الروح القدس لأجلنا

لا شك أن معمودية الرب يسوع هي عيد "الظهور الإلهي" للثالوث، ولكن هذا "الظهور"، ليس مجرد "استعراض" للثالوث؛ لأن ركناً من أركان هذا الظهور ليس مجرد نزول الروح القدس، بل "استقرار" الروح القدس على المسيح حسب عبارة الإنجيل: "وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء واستقر عليه ... ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه" (يو ١ : ٣٢ - ٣٣). واستقرار الروح القدس على يسوع - حسب شرح القديس أثناسيوس - مؤسس على حقيقة ثبات اللوغوس المتجسد وعدم تغيُّره.

يقول أثناسيوس:

"لأنه بما أن طبيعة المخلوقات متغيِّرة، فالبعض تعدُّوا الوصية، والبعض الآخر تمردوا ... لذلك كان ضرورياً أن يأتي واحدٌ غير متغيِّر لكي يحصل البشر على عدم تغيُّر بر اللوغوس كصورة ومثال لما ستكون عليه ثبات الفضيلة ... لأنه بما أن الإنسان الأول آدم (١ كور ١٥ : ٤٥)، تعرَّض للتغيير، وبسبب الخطية دخل الموت إلى العالم (رو ٥ : ١٢)، لذلك السبب عينه جاء آدم الثاني غير المتغيِّر ... أمّا الرب فلكونه غير متغيِّر وثابت، تصير الحية عاجزة في حيلها ضد الجميع؛ لأنه عندما سقط آدم في العصيان "اجتازت الخطية إلى جميع الناس" (رو ٥ : ١٢)، ولكن حينما صار الرب إنساناً، حطَّم الحية، ونقل قوته العظيمة إلى جميع الناس" <sup>(١)</sup>.

(١) ضد الأريوسيين ١ : ٥١ ص ١٢٢ - ١٢٣.

إذن فقد فَقَدَ آدم سُكْنَى الروح القدس بسبب السقوط، وهي أحد جوانب تعليم كنيسة الإسكندرية الذي دُوِّنَ في كل كتابات آباء الإسكندرية، وسوف نكتفي بالقدّيس أناسيوس والقدّيس كيرلس الكبير:

### أولاً: شهادة القديس أناسيوس:

- ١- "إن البشر نالوا الروح حسب الشركة ... ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة، لذلك فإنهم عندما يتغيرون يُنزع منهم الروح ويتبرأ منهم" <sup>(١)</sup>.
- ٢- "لقد صار يسوع ممسوحاً بالروح القدس؛ لكي يقَدِّس الجميع بالروح" <sup>(٢)</sup>.
- ٣- "فقد جاء لكي يعطي الروح القدس للجميع" <sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: شهادة القديس كيرلس:

حسب شهادة إنجيل يوحنا، استقر الروح القدس على يسوع؛ لأن يسوع سوف يُعمَّد بالروح القدس (يو ١: ٣٢ - ٣٣). وقد خصص القديس كيرلس فصلاً كاملاً عن معمودية الرب يسوع في شرح إنجيل يوحنا <sup>(٤)</sup>، ووضع له العنوان التالي: "الروح القدس في الابن ليس بالشركة من الخارج، بل بالشركة حسب الجوهر وحسب الطبيعة".  
وتعبير "الشركة من الخارج" تعبير هام يؤكد به الآباء أن شركتنا في الروح القدس هي شركة خارجية، وذلك للأسباب الآتية:

- ١- لاختلاف جوهر وطبيعة الإنسان عن طبيعة الروح القدس، وهذا يعني أنها ليست شركة حسب الجوهر الواحد؛ لأنه لا يوجد جوهر واحد يجمع الله والإنسان، بل يوجد جوهر واحد للبشر، وجوهر واحد للثالوث.

(١) ضد الأريوسيين ١: ٣٧ ص ١٠١.

(٢) ضد الأريوسيين ٢: ١٤ - طبعة ثالثة منقحة، ص ٣٤.

(٣) ضد الأريوسيين ٢: ١٨ ص ٤٠.

(٤) راجع الترجمة الحديثة إلى الإنجليزية التي نشرت في سلسلة "مكتبة الكنائس الشرقية" - الجزء الأول، تحقيق Peter

٢- الشركة من الخارج تعني أن سُكنى الروح القدس، أو الثالوث فينا هي سُكنى النعمة التي لا علاقة لها بطبيعة وجوهر الإنسان. هذا تمييز ضروري؛ لأن اختلاف الطبيعة هو سبب عمل النعمة ووجودها؛ لأن وحدة الطبيعة لا تحتاج إلى نعمة، بل ما هو في الطبيعة خاص بعمل وصفات هذه الطبيعة، ولذلك النعمة عطية ليس لها علاقة بطبيعة الإنسان<sup>(١)</sup>.

لقد كتب القديس كيرلس هذا الفصل بالذات ضد أريوس ونسطور، ومن هذا الفصل نقدم هذه المقاطع:

### المقطع الأول: وهو خاص بإخلاء الابن لذاته

"بما أن كلمة الله تأنس، فقد تقدّس أيضاً باقتبال الروح القدس، لكن قبل تجسده كان في صورة ومساواة الآب (فليبي ٢: ٦) ... ما أعظم هذا العمل العجيب؛ لأن الابن المساوي لله الآب والذي له ذات طبيعة الآب، ومن أجل محبته لم يختلس هذه المساواة، بل نزل إلى حقارتنا وأخذ صورة العبد وأخلى ذاته لكي يتأنس ...".

### المقطع الثاني: وهو خاص بخلق الإنسان على صورة الله

"يقول الكتاب الأول من كتب موسى الخمسة - وهو أكثر بني البشر الذين عرفوا الله - إن الله "خلق الإنسان على صورته" (تك ١: ٢٦)، ولكن بواسطة الروح حُتِمَ *Sealed* بالصورة الإلهية. وقد علّمنا موسى نفسه بقوله إن الله "نفخ في أنفه نسمة الحياة"، وعلى الفور بدأ الروح في وقت واحد أن يعطي معاً الحياة لكيان (آدم)، وبعمل إلهي يطبع صورته عليه (آدم)"<sup>(٢)</sup>.

(١) لم يذكر أحدٌ قبل الأنبا شنودة أن الشركة في اللاهوت تعني أن يُصبح الإنسان إلهاً موجوداً في كل مكان ... إلخ ذلك من صفات اللاهوت.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ - ١٣٦.

وهنا يجب أن نسأل: ما هي علاقة خلق الإنسان الأول بمعمودية الرب؟  
والجواب هو للقديس كيرلس:

"كان الإنسان الأول في الفردوس - كما هو مكتوب - حافظاً العطية وسامياً بالصورة الإلهية التي تُخلق عليها بواسطة الروح القدس الذي حلَّ فيه. ولكن عندما فسد بغواية الشيطان وبدأ يحتقر خالقه ويتعدى الناموس الذي أعطى إليه، وأحزن الله المحسن إليه، أخذ الله النعمة منه، والذي تُخلق ليكون حياً سَمِعَ لأول مرة "تراب أنت وإلى التراب تعود". ومن هنا تغيَّر مثال الله الذي تلوَّث بالخطية، وبدأ المثال يضمحل، ولم يُعد الختم منيراً، بل اظلمَّ بسبب التعدي. وعندما ازداد جنس البشر في التعدي ووصلوا إلى أقصى درجات الانحطاط، وسادت عليهم جميعاً الخطية<sup>(١)</sup> وبصورة تامة، جُرِّدَت نفس كل إنسان، وفقدت بذلك طبيعة كل إنسان النعمة القديمة، فارق الروح القدس الكل، وسقطت الطبيعة الإنسانية العاقلة إلى أحط درجات الغباء...".

"ولكن صانع الكل، بعد زمان احتمال طويل حَزِنَ على العالم الفاسد، ولأنه صالح، وكراعٍ صالح، أسرع لكي يجمع القطيع الضال الذي على الأرض، وقرر أن يبذل *trans - element* الطبيعة الإنسانية ويجدها ويردها إلى الصورة بالروح؛ لأنه لم تكن هناك وسيلة أخرى ممكنة لإعادة الختم الإلهي مرة ثانية..."<sup>(٢)</sup>.

### المقطع الثالث: كيف أُعيدت إلينا النعمة غير المغلوبة؟

"كيف يغرس فينا النعمة غير المغلوبة؟ أو كيف يتجدَّر (من الجذر) الروح في الإنسان؟ وبأي وسيلة أُعيد تجديد الطبيعة إلى حالتها الأولى؟ هذه أسئلة تستحق الإجابة"

(١) راجع تجسد الكلمة للقديس أناسيوس، الفصل السادس.

(٢) راجع الترجمة الحديثة لإنجيل يوحنا إلى الإنجليزية التي نشرت في سلسلة "مكتبة الكنائس الشرقية" - الجزء الأول، ص ١٣٦.

- أ- الإنسان الأول ترابي؛ لأنه خُلِقَ من تراب، وأُعطي له القدرة على أن يختار الخير أو الشر، وبالاختيار يصبح سيد أيهما (الخير أو الشر).
- ب- لكنه أُسِرَ بمكرٍ مرير، ومال إلى العصيان، وسقط في الأرض، الأم التي نشأ منها وساد عليه الآن الفساد والموت.
- ج- وورث إلى الجنس البشري كله حكم الموت.
- د- ونما الفساد، وانتشر فينا، وانحدر الإدراك إلى ما هو أسوأ، وملك الموت، وبشكل تام صارت الطبيعة الإنسانية عارية من الروح القدس الذي سكن فيه (عند خلقه).
- هـ- "لم يحفظ الإنسان الأول النعمة التي أعطاها الله له" <sup>(١)</sup>.

### المقطع الرابع: تدبير الخلاص

- أ- "دبّر الله الآب أن يرسل إلينا من السماء آدم الثاني، فأرسل إلينا ابنه الوحيد في شكلنا، وهو الذي لا يعرف التغيّر أو التحول، بل لا يعرف الخطية مطلقاً".
- ب- "وكما بسبب معصية الأول، صار (آدم الثاني) خاضعاً للحكم الإلهي لكي بطاعة الثاني ننجو من اللعنة وتباد شرورها".
- ج- "ولكن عندما جاء كلمة الله وتأنّس، اقتبل الروح من الآب كواحدٍ منّا نحن البشر - ولم يقتبل الروح لذاته كمن هو محتاج لأنه مُعطي الروح - ولكن بما أنه هو الذي لا يعرف خطية، قبله (أي الروح) كإنسان يحفظ الروح لطبيعتنا ويعيد غرس *in root* من جديد فينا النعمة التي فارقتنا. لذلك السبب - كما اعتقد - قال المعمدان القديس متنبأً "رأيت الروح نازلاً من السماء واستقر عليه؛" لأن الروح هرب منّا بسبب الخطية، ولكن لما جاء الذي لا يعرف خطيةً، وصار بشراً وكواحدٍ مثلنا، جاء الروح لكي يتعوّد

(١) المرجع السابق ص ١٣٦ - ١٣٧.



*accustomed* أن يسكن فينا نحن لأنه لا توجد مناسبة أو سبب لأجله يفارقه (أي يسوع) الروح" (١).

## المقطع الخامس: نحن نأخذ الروح القدس من المسيح

"هكذا كانت إحدى نتائج السقوط، مفارقة أو هروب الروح القدس من الطبيعة الإنسانية، وهو السبب الكامن وراء صراخ داوود "روحك القدوس لا تنزعه مني" (مز ٥١)، ولكن في التدبير جاء الروح ليمسح يسوع ويعلنه مسيحاً بشكل خاص، أي المخلص الذي سوف يعيد الروح القدس للإنسانية" (٢).

وفي هذا المقطع يضع القديس كيرلس الأساس اللاهوتي لشركتنا في الروح القدس

هكذا:

أ- "لذلك في ذاته قَبِلَ الروح القدس لأجلنا لكي يجدد لطبيعتنا الصلاح القديم (الذي فقدناه)؛ لأنه قيل: "الذي لأجلنا افتقر وهو الغني" (٢ كور ٨ : ٩). فهو غني؛ لأنه - كإله - لا يعوزه شيء صالح. ولما تأتس كان يفتقر إلى كل شيء ... وكما أنه هو الحياة بالطبيعة، ومات بالجسد لأجلنا لكي يدوس الموت لأجلنا ويقدم الطبيعة كلها معه - لأن كل البشر كانوا فيه عندما صار إنساناً - هكذا أيضاً يقبل الروح لأجلنا لكي يقدس طبيعتنا كلها. لقد جاء لا لكي ينال هو ذاته فائدة، بل لكي يصبح لنا جميعاً "الباب"، و"البدء"، و"الطريق" إلى كل الخيرات السماوية".

(١) المرجع السابق ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق. وهنا يجب أن نقول لكل من ينادي بعدم سُكْنِي الروح القدس فينا - تلك المحاولة الشيطانية التي تريد أن تفصل الروح القدس الأبنوم الثالث و"الرب المحيي" عن المواهب - إن خطأ هذا الفصل - كما سبق وأشرنا أكثر من مرة - يجعل الطبيعة الإنسانية عارية من اللاهوت، كما قال معلمنا أنثاسيوس للأريوسيين الذين أنكروا إلهية الروح القدس.

ب- "وإذا لم يكن له مسرة (أو إرادة) لأن يقبل كإنسان أو أن يتألم كواحدٍ من البشر، فكيف يمكن أن يقال إنه "أخلى ذاته"؟ أو كيف يمكن لـ "صورة العبد" إذا لم تكن لهذا العبد احتياجات؟" (١).

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ - ١٣٨.

## خامساً

### شهادة الطقوس الكنسية

يكفي في هذا المجال أن نقتبس نص صلاة استدعاء الروح القدس في القداس الكيرلسي، وهو أحد القداسات المصرية الأساسية حيث يقول الكاهن:

"وأرسل إلى أسفل من غُلُوكَ المقدس، ومن مسكنك المستعد، ومن حضنك غير المحصور، ومن كرسي مملكة مجدك الباركلييت روحك القدوس الكائن بالأقنوم. غير المستحيل ولا متغيّر الرب المحيي. الناطق في الناموس والأنبياء والرسل. الحال في كل مكان، المالى كل مكان ولا يحويه مكان. الفاعل بسلطة بمسرتك الطُّهرَ على الذين أحبهم وليس كالخادم. البسيط في طبيعته الكثير الأنواع في فعله. ينبوع النعم الإلهية، المساوي لك المنبتق منك".

هل تؤكد كل هذه العبارات الواضحة أن الذي سيأتي هو ذات أقنوم الروح القدس؟ أعتقد أنها واضحة جداً لاسيما ما يقوله الكاهن بعد ذلك مباشرةً: "شريك كرسي مملكة مجدك". كل هذا "علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرايين التي لك".

بعد كل ما تقدم، هل يمكن أن يكون هناك شك في أننا ننال الروح القدس نفسه. وهل يمكن أن يكون هناك شك في أن كلمة "نفس" الروح القدس - التي استخدمها القديس أثناسيوس<sup>(١)</sup> - هي ذات كلمة "أقنوم" الروح القدس كما جاءت في صلوات القداس الإلهي؟

(١) راجع ما جاء سابقاً في هذه الدراسة ص ١٩.